وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي.

محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم.

الدكتور عبد الحفيظ جوبر

السنة الجامعية :2019 - 2020

المحاضرة الأولى: التعريف بعلم المفردات أو علم المعاجم.

أول ما يلفت انتباه الباحث والدارس وهو بإزاء تحديد مصطلح Lexicology هو كثرة المصطلحات التي تقابله في العربية، ولكن من أجل سلوك منهج علمي واضح في هذا الشأن، يستحسن بنا أن ننطلق من تعريف مشهور وشائع لهذا العلم، ثم نقوم بعد ذلك بإيراد الاختلافات الحاصلة بخصوصه، من حيث تعريفه ومن حيث تحديد مصطلحاته.

أما التعريف المشهور الذي نعتمده في تعريف علم المفردات أو علم المعاجم، هو تعريف "علي القاسمي" في كتابيه المشهورين "المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق" و"علم اللغة وصناعة المعجم"، حيث يرى أن "المعجمية" تشمل علمين أساسيين هما "علم المعاجم" و"صناعة المعجم" اللذان يقابلان في الإنجليزية Lexicology و Lexicography على التوالي. والمخطط الذي اعتمدَه يوضح ذلك جليا:

المعجمية (Lexicology) علم المعاجم صناعة المعجم(Lexicography)

ويُعرِّف "علي القاسمي" "علم المعاجم" بأنه: » علم المفردات الذي يهتم بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها وأبنيتها، ودلالتها، وكذلك بالمترادفات والمشتركات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والسياقية، فعلم المفردات يهيء المعلومات الوافية عن المواد التي تدخل في المعجم. »

ويذكر في موضع آخر "أن "علم المعاجم" أو "علم الألفاظ Lexicology "يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات، ويهتم "علم المعاجم" من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ وأبنيتها ودلالاتها المعنوية والإعرابية والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات وتعدد المعاني.

ويختلف التعريف الثاني عن الأول في مفهوم "علم المعاجم"، إلا أن "علي القاسمي" يرى بأن "علم المعاجم" هو "علم المفردات" أو "علم الألفاظ" فهي عنده مترادفات، و"علم المعاجم" هو جزء من "المعجمية" بالإضافة إلى "صناعة المعجم Lexicography "، كما رأينا في المخطط السابق.

ونحن سننطلق من هذا التعريف ونجعله معتمدا لنا في هذه المحاضرات، ولكن لا بأس أن نتعرض هنا إلى الاختلاف الكبير الحادث في مجال المصطلحات في هذا العلم الجديد الذي نشأ بين الباحثين العرب المعاصرين.

يذهب "محند الركيك"، الباحث في المعجمية، إلى تبني مصطلح "المعجمية" في مقابلLexicology عند الغربيين، ودافعه إلى ذلك هو أنها أكثر تداولا من قبل المعجميين والباحثين اللسانيين وأقربها إلى الصواب، ويُعرّف "المعجمية"، وهو يقصد بها "علم المعاجم"، بأنها » ذلك العلم النظري الذي يهتم بدراسة دلالة ومعاني المفردات والكلمات، وهي

بذلك تشكل فرعا من فروع علم اللغة العام « إذا كانت "القاموسية" « : . وزيادة في التوضيح يقول مرة أخرى Lexicographyمجرد ممارسة وتقنية تعتمد مناهج متباينة، غالبا ما تستمدها من الأعمال المعجمية النظرية، فإن "المعجمية" هي دراسة علمية ونظرية لكل مفردات وتعابير اللغة الطبيعية، وبعبارة أوضح؛ "المعجمية" هي بمثابة المرجعية النظرية التي توفر للقاموسي (Lexicographe)الأسس المنهجية والأدوات الإجرائية لإنجاز القاموس، وأهم ما يميز "المعجمية Lexicology "هو انفتاحها على مختلف العلوم اللسانية إذ تربطها علاقة وثيقة بالقاموسية Lexicographyوالتركيب والمورفولوجيا «.والدلالة، فالمعجمية حسب العديد من الباحثين ملتقى العلوم اللغوية والإنسانية ويذهب المعجمي "محمد رشاد الحمزاوي" المذهب نفسه، حيث يجعل ما يقابلLexicology مصطلح "مُعجمية" بضم الميم، ويُعرّفه بأنه » علم نظري حديث وظاهرة جديدة لم تحظ، على أهميتها وأبعادها، بما فيه الكفاية من الدرس والجدل على غرار الظواهر اللسانية النجومية، مثل علم الأصوات وتطبيقاته التربوية، وعلم المصطلح وصلته بنقل العلوم والتكنولوجيا، وعلم الأسلوب وعلاقاته المتنوعة بالأدب وجماليات النص الشعري والنثري، وما وراء ذلك من نظريات حافزة ومشوقة استبدت بالفكر اللساني الغربي والعربي على السواء، فكان لها السبق على المعجمية التي تعتبر اليوم آخر ما ظهر من العلوم الإنسانية الحديثة لما توفر لها من آليات التنظير والتطبيق التي تستحق العناية « . ويقول في السياق نفسه: » المعجمية بضم الميم مصطلح عربي وضعناه، ونعني به ما هو معروف في الفرنسية ب Lexicologieوالإنجليزية Lexicology ، ويفرق بينها وبين المعجمية، بفتح الميم، التي تؤدي معنى ما يسمى بالإنجليزية Lexicography وبالفرنسية . Lexicographie» وفي سياق شرحه لحدود هذين العلمين، يؤكد أن اللسانيات المعجمية الرائدة الحديثة ميزت بين المعجمية والمعجمية، فخصصت الأولى لدراسة الرصيد اللغوي، دراسة نظرية ومنهجية نقدية مجردة بالاعتماد على رؤى كليّة مثل البنيوية والتوزيعية والتوليدية، ودون الالتحام بها جملة وتفصيلا، وسمي الاختصاصي فيها بالمعجمي ترجمة ل Lexicologue بالفرنسية وLexicologist بالإنجليزية.
أما "حلمي خليل" فهو يقترب كثيرا من التعريف الذي خصه "علي القاسمي" للمعجمية إلا أنه يضع "علم المعاجم" مقابلا للمُعجمية ويقسمه إلى قسمين:
"علم المعاجم النظري" ويقابل Lexicology و"فن صناعة المعجم" ويقابل Lexicography ، علم المعاجم فرع من فروع علم اللغة المعاصر يقوم بدراسة المفردات وتحليلها في أية « : حيث يقول لغة وخاصة معناها أو دلالتها المعجمية exical Meaning ، ثم تصنيف هذه المفردات استعدادا لعمل المعجم، ويرى بعض علماء اللغة والمعاجم أن هذا العلم ينقسم إلى فرعين أساسيين هما:

1–علم المعاجم النظري. Lexicology

2–فن صناعة المعجم«. Lexicography

بدراسة المفردات أو الكلمات في لغة معينة أو عدة لغات « ، ويهتم علم المعاجم النظري، كما يقول من حيث المبنى والمعنى، أما من حيث المبنى فهو يدرس طرق الاشتقاق والصيغ المختلفة، ودلالة هذه الصيغ من حيث وظائفها الصرفية والنحوية وكذا العبارات الاصطلاحية Idiams وطرق تركيبها، أما من حيث المعنى فهو يدرس العلاقات الدلالية بين الكلمات مثل الترادف والمشترك «.اللفظي وتعدد المعنى، وغير ذلك ويتضح لنا من خلال كل هذه

الآراء السالفة أن الاختلاف في تحديد المصطلح بين العلماء العرب اختلاف محتدم ويحتاج علم المعاجم إلى تحديد في مضمونه وتوحيد في مصطلحاته.

ويعود سبب الخلاف بين الباحثين في مفاهيم "علم المعاجم" ومصطلحاته إلى كون هذا العلم جديدا في علم اللغة الحديث، ولا يزال إلى حد الآن لم تتبلور معالمه بشكل واضح على عكس العلوم اللغوية الأخرى التي لا تعرف مثل هذه المشاكل كعلم الدلالة مثلا، ثم إن هذه العلوم الجديدة هي قادمة إلينا من الغرب في تصوراتها ومفاهيمها، وليس في موضوعها، ولا سبيل إلى

وصولها إليها إلا عن طريق الترجمة، ولا يخفى علينا ما للترجمة من مساوئ، فعلم المعاجم في تعريفه ومصطلحاته ومفاهيمه في أغلبها هي مترجمة عن اللغات الأجنبية، ولذلك فإن حدوث مثل هذه الاختلافات في المصطلحات والمفاهيم أمر طبيعي، ولكن الباحثين يسعون ألا يظل هذا الأمر مستمرا طويلا، فنحن بحاجة إلى عقد مؤتمرات عربية في المعجمية لتجاوز مشكلاتها عن طريق تحديد مفاهيمها، وتوحيد مصطلحاتها.

يهمنا من كل ما سبق أن مفهوم علم المعاجم يكاد يكون موحدا، فهو علم يبحث في المفردات من حيث مبناها ومعناها، وعلى هذا الأساس يعتبر علم المعاجم علما لسانيا اجتماعيا حضاريا حديثا، من مطامحه اعتماد المفردات ومفاهيمها ومصطلحاتها، حتى أن بعضهم يرى أنها اللسانيات الحديثة بمجموع علومها من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وبلاغية وأسلوبية.

المحاضرة الثانية: موضوع علم المفردات ومنهجه.

إن علم المعاجم وإن كان له علاقة بكل علوم اللغة المختلفة والعلوم الإنسانية الأخرى، يتميز بأنه علم يهتم بمظهر خاص من مظاهر اللغة هو المفردات من تغير وتطور وعلى كل الظواهر الخاصة بالوحدات المعجمية، فهو علم يهتم بدراسة البنية الشكلية للوحدات المعجمية من حيث صيغتها وأصلها الاشتقاقي أو عناصرها المكونة لها من ناحية، ويهتم من ناحية أخرى بالجانب الدلالي، فيدرس هذه الوحدات من حيث دلالتها المعجمية العامة، ودلالتها الخاصة التي تكتسبها بالتطور أو بالاستخدام في المجالات والحقول المختلفة ويهتم على الخصوص بدراسة اللفظ في علاقته بغيره من الألفاظ كعلاقة الترادف أو التضاد أو الاشتراك، وغير ذلك من الموضوعات الشبيهة بما ذكر.

ولكي يكون "علم المعاجم" علما تطبيقيا وواضحا ومحددا في معالمه وموضوعه فإنه يقوم ب:

1–ربط صناعة المعجم بالنظريات والمقاربات والتصورات اللسانية الناقدة والمحددة.

2–التركيز على مفهوم الكلمة أو المدخل المعجمي وتخريجاته المختلفة ودوره في بناء المعجم.

3–التعمق في دراسة النص المعجمي وعناصره الأساسية سواء في مستوى المعجم العام أو المتخصص.

4–الاهتمام بمختلف تعريفات المدخل المعجمي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمجازية والبلاغية والأسلوبية وبالصورة وبالشاهد والتاريخ، وما تستوجبه من مستلزمات لغوية في نطاق المعجم العام، أو المعجم المتخصص الذي يرتكز أساسا على تعريف مداخله بحسب الطبيعة والوظيفة مثلا.

5–استقراء منزلة الخطاب المعجمي من أنواع الخطاب الأخرى وما بينه وبينها من صلات وتفاعلات، من ذلك مكانة خطاب التعريف بالشاهد معرفة وعلما وأدبا، وسمة اجتماعية حضارية.

وهذا كله يفيد أن مجال "علم المعاجم" مجال واسع ومتشعب لأنه يدرس كل ما يتعلق بالمفردات شكلا ومعنى.

ويعتمد "علم المعاجم" في دراسته على ما يسمى في علم اللغة "بالمدونة" الشاملة الجامعة، أي باعتماد كل المصادر والمراجع والوثائق التي تحيط بذلك الرصيد اللغوي الشعري والنثري والفصيح والشعبي والاجتماعي والأدبي والعلمي والفني والتكنولوجي، المكتوب والمنقول، والمخطوط والمنقوش، والمسجل والمصور في أزمنة وأماكن متواصلة ومترابطة، دون إقصاء لأي نوع من تلك الأنواع لأسباب معيارية أو تقويمية أو اجتماعية أو عقائدية أو ذاتية، حتى يمكن لنا أن نصف تلك الثروة وصفا موضوعيا يدل على واقعها المتنوع، دون أن يمنع ذلك من أن نعتني بعناصرها الفصيحة لغايات تربوية وحضارية مشتركة وذلك شأن العربية الفصحى الدولية التي ترتبط بين أقطار مختلفة، وهو شأن باقي اللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية ولا ضرر كذلك في اعتماد الوجه المتطور الخارجي من تلك الفصحى، وهو ما يدعى بالعامية أو اللغة العربية المنطوقة الشعبية الاجتماعية العالية لأغراض دلالية ولغوية أخرى. والمفروض من تلك المدونة أن تتابع وتصان ويعاد النظر في شأنها كل نصف قرن على أقل تقدير، وكل قرن على أقصى تقدير، حتى يزود ذلك الرصيد بكل ما طرأ من جديد، فيكون مواكبا لتطور مجتمعه محيطا بحاجياته وقضاياه، فكما هو معروف أن إملاء الفرنسية يراجع كل نصف قرن وكذلك نحوها وصرفها ورصيدها اللغوي، ويُسقِط معجم "لاروس" "خمسة في المائة من رصيده كل عشرين عاما، ويضيف النسبة نفسها بتجديده، وعلى هذا الأساس نكون قد أحسنًا الجمع ووفينا به كمّا وكيفا وأحطنا به ثابتا ومتحولا. وهذا الأمر تقتضيه الدراسة اللغوية الحديثة التي ترى أن كل العطاء

الإنساني في مجال اللغة يجب أن يحترم ويحظى بالدراسة، لأنه مؤشر على واقع اللغة كما استعملت، ولا يجب أن نقصي منها أي نوع أو شكل لأسباب ذاتية أو معيارية أو غير ذلك، وهذا هو مقتضى اللسانيات التي نادى بها العالم اللساني "فيردنان دي سوسير." وعلى "علم المعاجم" وهو يهدف إلى دراسة المفردات أن يضع لنفسه منهجا متكاملا خاصا. والسؤال الذي يطرح: هل يجب دراسة المفردات من حيث تطورها التاريخي، أم ينبغي إهمال هذا الجانب وعدها مجموعة أو بنية تحددها بالأساس العلاقات المتزامنة الموجودة بين مختلف العناصر التي تكونها؟

إن طبيعة علم المعاجم ترفض هذا التمييز أو الفصل بين المعجمية الدياكرونية والمعجمية السانكرونية، فحصر الدراسة المعجمية في وجهة نظر سانكرونية محضة يجعل منها غير مفهومة لأنها تكون بذلك مقطوعة الأوصال ويقتضي بذلك مفهوم التغيير. وهكذا فالكلمات التي نستعملها قد تلفظت بها الأجيال السابقة بقيم مختلفة، إن الكلمات لها ماض، فهي تتذكر، لذلك يعتقد أن بين علم المعاجم الوصفي وعلم المعاجم التاريخي تكاملا وليس استمرارا. فينبغي إذن على علم المعاجم أن يدرس المفردات ليس فقط في الحالة الثابتة للغة وخلال مرحلة معينة، يعني من وجهة نظر سانكرونية، ولكن أيضا تاريخية أي من زاوية دياكرونية لمعرفة كيف تتغير المفردات عبر مختلف القرون، ومدى إفقار وإغناء معجم لغة معينة، ومدى تطور الكلمات أو مجموع الكلمات.

وفي إطار النظرة السانكرونية تطور "علم المعاجم" في اتجاهين:

1 / دراسة العلاقات الاستبدالية بين الوحدات المعجمية المختلفة سواء كانت صرفية تركيبة أو- كانت دلالية والتي تكوِّن حقلا محددا (دراسة الترادف والمشترك اللفظي والتضاد).

2 / دراسة العلاقات التركيبية بين الوحدات المعجمية في النص الواحد، ويتعلق الأمر بعلم المعاجم- النصي لكونه ينظر إلى الكلمات في علاقاتها مع النص، أي علاقة الكلمة بالسياق وعلاقتها بمقياس ترددها.

ومن الثنائيات المنهجية التي يعتمدها علم المعاجم في دراسته ثنائيتا التحليل والتركيب:

أ – فالتحليل كاتجاه داخلي يعتمده "علم المعاجم" لدراسة المفردات باعتبارها العنصر الذي يتكون- منها موضوعه، وباعتبار علم المعاجم منظومة مرجعية لشبكات وحقول من الألفاظ التي تصنفها حسب علائقها، ولتعميق هذه النظرة التحليلية بهدف دراسة المعجم وكشف بواطن بنيته الداخلية سعت الجهود إلى اقتراح التصنيف كعنصر أساسي في التحليل، وهكذا صنف علم المعاجم العناصر المعجمية إلى فرعين رئيسيين: التصنيف الشكلي وهو تصنيف يلحق الأشكال والصيغ المعجمية، والتصنيف الدلالي. ويأخذ التحليل مستويات متدرجة، منها:

- تحليل العلاقات الداخلية لمنظومة المعجم.
- تحليل كلمات كل حقل معجمي وإبراز العلاقات الحاكمة لمعانيها.
- تحليل مفردات المعجم إلى عناصر دلالية، ويتم ذلك من خلال تصنيف الأسماء والأفعال والصفات في تصنيفات دلالية فرعية.
- تحليل المشترك اللفظي إلى مكوناته.

واعتماد عملية التحليل في الدراسة المعجمية لا يعني أن علم المعاجم علم مستقل ذاتيا ومعزول عن باقي العلوم، بل إن المعجم يوجد في وضع متعالق مع خارجه مما يدفع المعجميين إلى الاعتماد على التركيب كعامل خارجي يهدف إلى دراسة المعجم باعتباره كلا منفتحا.

ب – وعلم المعاجم ليس دراسة منحصرة في المعجم فقط بل هو دراسة تركيبية، وعملية التركيب يمكن أن تكون داخلية أو خارجية:

التركيب الداخلي: وهو الذي يجعلنا وجها لوجه أمام تقاطع الدرس المعجمي مع باقي فروع- اللغة وهو بذلك يركز على دراسة المفردات في صورتها الموسعة، ويقصد بذلك دراسة المعجم بكونه قاسما مشتركا بين جميع الفروع اللغوية.

التركيب الخارجي: ويقوم بدراسة المفردات وبحث المعطيات الاجتماعية والتاريخية والسياسية- والجغرافية والفنية، هذه المعطيات التي تسمح بتصنيف طبيعة هذه المفردات وتفسيرها، وهذا يجعل علم المعاجم يستفيد من نتائج العلوم الإنسانية وعلوم اللغة وتسخيرها في تقديم كل المعطيات والمعلومات المتعلقة بمعنى الوحدة المعجمية التي من شأنها أن تفيد المعجم.

المحاضرة الثالثة: علاقة علم المعاجم بالعلوم المجاورة.

بما أن موضوع علم المعاجم هو دراسة المفردات أو الكلمات في لغة معينة أو عدة لغات من حيث المبنى والمعنى، فإن هذا يعني أن علم المعاجم يستعرض إلى كل ما يتعلق بحياة اللفظة، وإن حياة اللفظة لهو أمر غاية في التعقيد والشعب، وقد علمنا أن المعنى هو أعقد المسائل في الدراسة، فهو بحاجة إلى منهج في علم النفس والفلسفة وكل العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى. إن "علم المعاجم" بهذا الوصف السابق يشكل ملتقى علوم عديدة وخاصة منها علوم اللغة كالدلالة والفونولوجيا والعلوم الإنسانية الأخرى كعلم الاجتماع والتاريخ والأدب وعلم الحاسوب وغيرها.

المعجمية التفسيرية « ولقد عمل "إيغور ميلتشوك" على ربط المعجم بعدة علوم حين دعا إلى وفي السياق نفسه، ترى الباحثة المعجمية "بيكوش" أن "علم المعاجم" يشكل ملتقى ،» التأليفية علوم عديدة وركزت بالخصوص على علاقته بعلوم اللغة كالدلالة والفونولوجيا.

ونظرا للصلة الوثيقة بين "علم المعاجم" ومختلف العلوم، ارتأينا تخصيص هذا الحيز لمعالجة هذه المسألة التي لا تزال بحاجة ماسة إلى تعميق دراستها من طرف الباحثين، وفيما يلي عرض لبيان علاقة علم المعاجم بعلم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم الحاسوب.

علاقة علم المعاجم بعلم الاجتماع: يحتل "علم المعاجم" وضعية خاصة ومميزة بين اللسانيات- وعلم الاجتماع وذلك لكون اللغة انعكاسا للمجتمع، وتوجد علاقات وثيقة بين استعمال اللغة وشكلها من جهة، وبين سيرورة المجتمع وبنياته من جهة أخرى، وتبدو مثل هذه العلاقات بينة في أكثر مستويات تحليل اللغة أولية على مستوى المعجم، مثلا: فالكلمات والأسلوب الذي نستعمله يعكسان، بما لا يقبل النزاع، بنيات اجتماعية محددة، تتجلى هذه الخصوصية إذن في كون هذه العلاقة لا تنطبق على كل المجالات اللسانية، ففي الوقت الذي يظل فيه النظام النحوي ثائرا على التغير ثابتا على أًصوله القديمة يظهر المعجم على عكس ذلك عنصرا ديناميكيا يخضع لأبسط التحولات التي تقع في الوسط الاجتماعي.

ومن هنا يحقق علم المعاجم إحدى خصوصياته، ذلك أن »موضوع علم المعاجم هو كموضوع علم الاجتماع دراسة الأفعال الاجتماعية، وسوف يستعمل في كل مرة يستطيع فيها ذلك نتائج علم الاجتماع، وعلم المعاجم بمقدار اهتمامه بالدراسات التركيبية والصوتية عليه أن يفتح الأبواب أمام علم الاجتماع، فنحن بالانطلاق من دراسة المفردات نحاول تفسير مجتمع معين، ويمكننا أن نعرف علم المعاجم بأنه علم مجتمعي يستخدم الأدوات اللسانية التي هي الكلمات «، ولهذا نجد "ماطوري" يدعو إلى دراسة المعجم من زاوية اجتماعية ويصف معجميته بأنها معجمية اجتماعية، وقد طبقها في أطروحته »المفردات والمجتمع في عهد "لويس فيليب" التي نوقشت سنة 1946 وطبعها في كتابه "منهج علم المعاجم. » "

علاقة علم المعاجم بعلم التاريخ: يستفيد علم المعاجم من معطيات وإسهامات علم التاريخ، – ولا نقصد به هنا التاريخ التحليلي الذي يسرد الأحداث، لكن التاريخ الاقتصادي وتاريخ العادات أي الدراسات التركيبية للتاريخ بصفة خاصة، وتنضج أهمية العلاقات التي تربط علم المعاجم بالتاريخ في كون هذا الأخير يقدم في فترات التحولات السياسية والاجتماعية وتغير أوضاع المجتمعات في المجالات المختلفة، مصادر وفيرة من الوثائق التي بدونها لن تبنى

دراسة المفردات على أساس حقيقي. كما أن هذه الوثائق سوف تستخدم من أجل إقامة فرضيات العمل التي تسبق الأبحاث الخاصة بالمفردات.

وإذا قبلنا مبدئيا بارتباط الظواهر المعجمية بالعوامل التاريخية حسب مبدأ التوافق العام، قلنا بوجود المعجمية التاريخية، ويتضح مبدأ التوافق هذا من خلال مفهومي الاستمرارية والتقطعية وتظهر "الاستمرارية" في العناصر المعجمية المستمرة والمتصلة والمنقولة عبر الفترات التاريخية، أما التقطعية كمفهوم تاريخي أساسي، فيقوم بإدخال فكرة التحول العنيف أو التغير الثوري إلى تاريخ المعجم وعلى هذا الأساس يمكن تفسير أفعال المفردات وبالتالي تصنيفها، فكلما حدث تقطع تاريخي بين فترة وأخرى نتيجة انقلاب أو ثورة إلا وصاحبته تقطعات على مستوى تاريخ المعجم، ويمكننا أن نمثل لهذا بالتحول الذي صنف على أثره تاريخ العرب إلى عصر جاهلي وعصر إسلامي كنتيجة حتمية للانقلاب الذي عرفه المجتمع العربي بمجيء الإسلام مما استدعى تقسيما على مستوى المفردات، مفردات تنتمي إلى العصر الجاهلي، ومفردات عرفها المجتمع العربي بمجيء الإسلام، هذه المفردات لها معانيها الجديدة ومفاهيمها وهذا الذي يفسر به التغير الدلالي الذي أصاب الكثير من المفردات مثل الصلاة، والصوم، والزكاة والحج، والتيمم، والطهارة والجهاد، والخلافة ...الخ.

ولو تفحصنا مليا مفردات الشعر الجاهلي ومفردات الشعر الإسلامي لوجدنا الاختلاف والتمايز بين مفرداتهما واضحا بينا. ولهذا فإنه ينبغي على عالم المعاجم وهو يدرس المفردات أن يراعي هذا الجانب خير رعاية، وعليه أن يبادر باقتراح التواريخ المحددة لبعض الحقب المهمة ثم القيام بدراسة حياة المفردات والكلمات أو الوحدات المعجمية الخاصة بكل قضية، ويمكن أن نمثل لهذا العمل بأطروحة "جون دييوا" المفردات السياسية والاجتماعية في فرنسا من 1886 إلى 1872 " والتي تظهر مدى تطور المفردات في معانيها في هذه الفترة المهمة، وكذلك ما قام به "جورج ما طوري" في كتابه "منهج علم المعاجم" عندما خصص ملحقا للحقل المفهومي "الفن والفنان" فيما بين 1834 و 1872.

ومن الآليات التي يثيرها علم المعاجم التاريخي ما يلي:

الدراسات الدياكرونية وهي تفسير تاريخي للمنظومة السانكرونية وتكشف عن العوامل التاريخية- التي أحدثت التغيرات داخل المفردات.

الدراسات الايتمولوجية للمفردات وهي التي تعالج أصول المفردات وتطورها التاريخي من حيث - التوسيع والتصنيف والمجاز والاختفاء والظهور، وعلاقة البنيات الأولى بمشتقاتها المختلفة.

علاقة علم المعاجم بعلم الحاسوب: مازالت اللسانيات الحاسوبية تشق طريقها نحو التأسيس- ومازالت لم تحظ بأهميتها اللائقة بها على الرغم من أهمية الحاسوب كأداة تطبيقية للغة العربية ودوره في معالجتها آليا. ويعد علم المعاجم أكثر العلوم اللغوية حاجة إلى استعمال الحاسوب، هذا إذا انطلقنا من كون المعجم بنية معقدة لدرجة يتعذر معها الخوض في تفاصيلها الدقيقة ومتاهاتها المتشابكة، والكشف عن أسرار بنيتها الداخلية باستعمال الوسائل اليدوية التقليدية، وهكذا أصبح الحاسوب مطلبا أساسيا تفرضه طبيعة المعجم حيث يكون المعجم موضوعا مثيرا للمعالجة الآلية يندر وجود حالات مماثلة له. ويمكن ل"علم المعاجم" وهو يستخدم أداة الإحصاء في وصف المفردات من حيث الغنى المعجمي الذي يميز نصا عن آخر ومرحلة عن أخرى وإحصاء لنسبة تردد المفردات، أن يستخدم الحاسوب في مجال الدراسات المعجمية الإحصائية التي تعتمد الجرد ولغة الأرقام، حيث تشكل المفردات باعتبارها موضوع الإحصاء

المعجمي أرقاما قابلة للطرح والقسمة والجمع، وهكذا يستخدم الحاسوب في التقسيم الكمي للثروة المعجمية كوسيلة مبسطة للتحليل الإحصائي.

إذن فتحديث نظرتنا إلى المعجم لن يتم إلا باستغلال إمكانيات الحاسوب خاصة أساليب الذكاء الصناعي فيها، والتي تحاكي بعض وظائف الذهن البشري في حل بعض المشاكل وإدراك الناقص، واستنتاج ما يتضمنه المعجم من حقائق ومفاهيم، والعلاقات التي تربط بين مفردات المعجم كالعلاقة بين جذور الكلمات والصيغ الصرفية أو العلاقات المتعلقة بمعاني الألفاظ، كعلاقات الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد إلى غير ذلك من الخدمات التي يقدمها الحاسوب لإبراز كثير من جوانب منظومة المعجم بصورة أوضح.

المحاضرة الرابعة: علاقة علم المعاجم بالعلوم اللغوية.

إن البحث في العلاقة بين "اللسانيات" و"علم المعاجم" يقتضي منا أن نبسط النقاش في العلاقة بين علم المعاجم والفروع اللغوية المكونة لعلم اللغة، وفيما يلي بعض منها:

علم المعاجم وعلم الدلالة: يعد علم الدلالة من أكثر العلوم الإنسانية التصاقا ب"علم- العلم الذي يدرس المعاجم "لكونهما يتقاطعان في قضايا عديدة، إذ يعرف علم الدلالة بأنه ويهتم بالتعبيرات الدلالية التي تلحق الكلمات والتعابير والأساليب، ويدرس "علم المعاجم" ، المعنى بكيفية ما اللغة الطبيعية من خلال دراسة مفرداتها. وإذا أردنا أن ننظر في علاقة القربى بين العلمين فإننا سنجد أن "علم الدلالة" يهدف إلى دراسة المدلولات اللغوية التي تشكل القاسم المشترك ليس فقط بينه وبين علم المعاجم بل حتى مع علوم أخرى كالتداولية والسيمولوجية. ومهما يكن من أمر، فعلم الدلالة أقرب العلوم الإنسانية إلى "علم المعاجم"، ولعل الإقصاء الذي عرفه كلا العلمين من قبل اللسانيين لخير دليل على تداخلهما فيما بينهما. حيث لم يعط للدلالة حقها من الدراسة إلا بعد صدور كتاب "ريتشاردز" و"أوغدن" والمعنون بـ "معنى المعنى ". وعانى علم المعاجم بدوره من الإقصاء والتهميش من قبل علماء اللغة ولم تهتم به الدراسات إلا بعد ظهور دراسات وأبحاث كل من "إيسبان" و"تراير" في الحقول الدلالية. ويستفيد "علم المعاجم" من الدراسات الدلالية، ففي تحليل المجموعات المعجمية في ارتباطها مع محتوياتها لن يمكن بدون محاولة تحليل هذه المحتويات إلى السمات المميزة. وهكذا يمكن تطبيق نظرية السمات المميزة على الوحدات المعجمية المتقاربة دلاليا أو التي تنتمي إلى حقل الترادف. ويتعلق الأمر هنا بالدلالة المعجمية وهي مبحث المعاني المعجمية التي تستفاد من الوحدات المعجمية في حالة تفردها وفي حالة انتظامها في السياق، ومن ناحية أخرى يستلهم علم المعاجم من علم الدلالة النظرية التحليل إلى الوحدات الدلالية لتصفية المفردات واختزالها في هيئة مجموعات أساسية من المفاهيم.

علم المعاجم وعلم الصرف: علم الصرف هو فرع اللسانيات الذي يتعامل مع البنية الداخلية- لمباني الكلمات من حيث تكوين عناصرها الأولية، وهو المصدر الأساسي لاتساع اللغة ونموها بما يوفره من وسائل عديدة لتكوين مشتقات جديدة من العناصر المعجمية وإعادة تلك القائمة بالفعل. وبما أن الصرف له دور في تصنيف الكلمات حسب بنيتها الشكلية، أي حسب الجذور والسوابق واللواحق، وحسب مشتقاتها. وفي تحليل العلاقات الداخلية التي تربط مفردات المعجم وفصائله المختلفة، فإن هذا له فائدته عند الباحث المعجمي الذي يعمل على دراسة وتصنيف الحقول التي تهتم بمظهر الكلمات مثل حقول المشتقات وحقول المفردات التي لها نفس اللواحق والسوابق، وإن كان يتعدى دراسة مباني الكلمات إلى دراسة الصلة بين مباني الكلمات ومعانيها المعجمية.

فالمعجمي باعتباره المنظِّر والموجِّه لصانع المعجم مدعو إلى الاهتمام بقضايا الصرف لارتباطها الوثيق بالمعجم، فالجذور تشكل الوحدة الأساسية لبناء المعجم الذي يعتمد المداخل المعجمية في العربية، أما الجذوع فهي تغطي المشتقات.

وكذلك يفيد علم المعاجم علم الصرف بالمعطيات الفونولوجية والصرفية، والدلالية والإيتمولوجية (الأصل المعجمي) والتي يحتاج إليها في تطبيق قواعد الصرف المختلفة، حيث تتوقف إنتاجية قواعد تكوين الكلمات في العربية على اعتبارات معجمية مختلفة بديلة للكلمات المراد اشتقاقها، مثل: لا يوجد لفظة "أُسَيْدٌ" في العربية لوجود كلمة "شِبْلٍ" في المعجم على عكس "نُمَيرٍ."

علم المعاجم والصوتيات الوظيفية: إن الوحدة الأساسية لعلم الفونولوجيا هو الفونيم، وإن- الوحدة المعجمية في بنيتها الشكلية مكونة من "فونيمات"، وهنا يلتقي علم المعاجم بالصوتيات الوظيفية. فالصوتيات الوظيفية تضع المبادئ والقواعد التي تفسر الظواهر المختلفة للصوت اللغوي كتلك الخاصة بتنويعه وتنغيمه وعلاقته مع غيره من الأصوات والعناصر اللغوية الأخرى.

ومن هنا يتميز علم المعاجم عن الفونولوجيا في كون موضوع هذه الأخيرة، هو دراسة الفونيمات التي تكون الدال، أما عالم المعاجم فعلى العكس من ذلك فهو يأخذ بعين الاعتبار كلية اللفظ الشكل والمعنى، أي الدال والمدلول. والعلاقات التي تربط منظومة "الفونولوجيا" بمنظومة "علم المعاجم" كثيرة، نذكر منها مثلا:

-الشذوذ المعجمي في المعجم العربي وعلاقته بالفونولوجيا مثل: الانفصال بين المفرد وجمعه ومن أمثلته: امرأة، نسوة، وجمع لا مفرد له ومن أمثلته: مساوئ، أبابيل، وشذوذ في النطق ومن أمثلته "عمرو"، "يس"، "أولئك."

-وتساهم الفونولوجيا مساهمة واضحة في التنظيم المعجمي بصورة غير مباشرة وذلك من حيث دوره في تحديد أبواب الأفعال في العربية، ففي كثير من الأحيان يتعدد باب الفعل دون مبرر نحوي أو دلالي، فلا يخرج تعدد الأبواب في هذه الحالة عن كونه بديلا فونولوجيا لا يترتب عليه أي تغيير في تعدية الفعل أو لزومه أو اشتقاقه، أو تصنيفاته النحوية الفرعية أو أطره الدلالية، من أمثلة ذلك الجذر "حرض" وله ثلاثة أبواب: حَرَضَ يَحْرُضُ، حَرُضَ يَحْرُضُ، حَرِضَ يَحْرَضُ، والجذر "يئس" وله بابان أيضا يَئِسَ يَيْأَسُ، ويَئِسَ، يَيْئِسُ. كذلك تساهم الفونولوجيا في إجراء بعض التعديلات الفونولوجية قبل ياء النسب مثل: "صحراء" "صحراوي" فليس هناك مانع فونولوجي من ورودها على صيغة "صحرائي" كما في إنشائي، وحذف ياء التأنيث قبل ياء النسب، مثل "مدرسة" "مدرسي"، فلا غضاضة صوتية في كلمة "مدرستي" وفي مادة "مادتي"، واستبدال الواو في صيغة إفعال بالتاء المربوطة عند انطباقها على الفعل الأجوف الواوي، مثل "إقامة" مصدر "قوم" بدلا من "إقوام" المقبولة فونولوجيا.

-أثر الخصائص الصوتية للأصل المعجمي على صوغ مشتقاته، مثل صوغ اسم الزمان أو المكان على وزن مفعل بكسر العين من الفعل الثلاثي إذا كان صحيح الآخر، وأوله حرف علة، مثل: "موعد" من "وعد" و"مورد" من "ورد."

علم المعاجم وعلم المصطلح: علم المصطلح أو المصطلحية كفرع من فروع الدراسات اللغوية- هو علم لساني حديث قد أدى إليه النظر المعمق في المصطلحات في مختلف العلوم والتقنيات فهو مبحث في المصطلحات العلمية والفنية. وقد اختلف المهتمون بهذا العلم في صلته بعلم المعاجم، فمنهم من يعد المصطلحية علما مستقلا بذاته لما يراه من مظاهر اختلاف بينه وبين علم المعاجم، ومنهم من يرى الفصل بين الاثنين فصلا مصطنعا ويرى في المصطلحية امتداد لعلم المعاجم. ويشترك علم المعاجم وعلم المصطلح معا في كيفية معالجة ودراسة الوحدات اللغوية، ويمكن القول إن العلاقة بينهما هي علاقة احتواء لكون "الإبداع المصطلحي" الذي هو جزء من النشاط العلمي لا يتعلق إلا بالمعجم، ولو أنه يتوسل بالاطرادات الصرفوتركيبية.

ولو أردنا إبراز التباين بين علم المعاجم، وعلم المصطلح لوجدناه يمس طبيعة عناصر اللغة. ففي الوقت الذي يهتم فيه البحث المعجمي باللغة المشتركة التي قوامها ألفاظ اللغة العامة، يقتصر مجال اهتمام علم المصطلح على لغة خاصة هي التي تنتظم كل مصطلح علمي أو تقني خصصه الاستعمال في علم من العلوم أو فن من الفنون وصناعة من

الصناعات، كان المقصود به هو ما اصطلحوا عليه وتعارفوا على مدلوله، دون ما سوى ذلك من الدلالات الأخرى التي قد تكون لتلك الألفاظ فيما يشيع بين عامة متكلمي اللغة.

إن هذه اللغة الاصطلاحية تساهم في التواصل بين أهل الاختصاص في الحقول المعرفية المختلفة، وهكذا يظهر لنا التباين بين هذين العلمين في طبيعة الوحدات اللغوية، ففي الوقت الذي يهتم فيه المبحث المعجمي بالمفردات اللغوية "فعلا" كانت أو "اسما"، يقتصر مجال الاهتمام المصطلحي على الاسم باعتباره الأداة الأساسية في التسمية والتعيين، وواضح أن هذا الاهتمام يشمل الأسماء التي تحمل قيما مفهومية خاصة. فموضوع علم المعاجم هو البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوناتها وأصولها واشتقاقها ودلالاتها وعلاقاتها، وموضوع علم المصطلح هو البحث في المصطلحات من حيث مكوناتها ومفاهيمها ومناهج توليدها. ومنطلقنا في هذا التصنيف خضوع الوحدات المعجمية إما أن تكون عامة، وإما أن تكون مخصصة. فإذا كانت عامة كانت لفظا لغويا عاما منتميا إلى الرصيد المعجمي العام قابلا لاكتساب خصائص معينة، مثلا الدلالة الإيحائية والاشتراك، وإذا كانت مخصصة كانت مصطلحا. وفي إطار التمييز بين علم المصطلح وعلم المعاجم على مستوى العلاقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية التي توجد بين الوحدات المعجمية، نجد الدرس المصطلحي يعتمد النوع الأول من العلاقات عند دراسة الوحدات المصطلحية لضبط الأنساق المفهومية المنظمة داخل الحقول المعرفية، وهذا يمثل نقطة التقاء مع علم المعاجم، فكلاهما يعمل على رصيد العلاقات الاستبدالية بين دلالات المفردات التي تشكل حقلا دلاليا محددا والاختلاف يكمن في اهتمام علم المعاجم أيضا بالعلاقات التركيبية بين الوحدات المعجمية بطريقة مكثفة، بينما يحتل في البحث المصطلحي مستوى ثانيا، إلا أن هذا لا يعني إهمال العلاقات التركيبية، فغالبا ما ترتكز الدراسة المصطلحية على دور السياق لإزالة كل أشكال الغموض والالتباس، فالسياق هو الذي سيوضح لنا المقصود بمصطلحات مثل "جر" و"نصب" و"فتح" و"جذر" التي يطلقها النحاة ومخالفا لما هو معروف في اللغة المشتركة، وكثيرا ما يستخدم اللفظ الواحد عدد من المتخصصين في علوم مختلفة، مثل "الجذر" في اللغة وفي الرياضيات بدلالة مخالفة لما عند الآخر.

إن هذه الجولة في علاقة علم المعاجم بعلوم مجاورة وعلوم لغوية لتبين لنا:

- أنه في مجال العلوم الإنسانية، يتبوأ المعجم مكان الصدارة بلا ريب، في العلاقة القائمة بين اللغة- والعلوم الإنسانية، وهذه المكانة جعلت علم المعاجم يخضع في صورته الموسعة لمطالب كل الفروع اللغوية، ويتصف بالانفتاح والتسامي ويكتسب أهمية مركزية.

- أن المنظومة اللغوية تتسم بالتماسك الشديد بحيث يصعب الفصل بين عناصرها دون الانتقاص من قيمتها، فبالرغم من أن لكل منظومة فرعية من منظومات اللغة نظمها وقواعدها المميزة لها، فإن ذلك لا يعني الانفصال التام بين قواعدها، إذ من الممكن بل من الضروري، أن تستعين منظومة المعجم بمعطيات صرفية وصوتية وتركيبية ودلالية كما سبق وأن أوضحنا، لكون المفردة جزيء معجمي تساهم في تكوينه عناصر لغوية مستمدة من الأصوات والبنية الصرفية والدلالة، ووجود هذه العناصر يجعل المفردة تكتسب خصائصها النحوية والتركيبية.